كف فاطمة

إلديفونسو فالكونس

دراسة نقدية

مراد حسن عباس[١]

كف فاطمة تلك اليد التي تنتصفها عين زرقاء يحيط بها غلاف رقيق أبيض، ويشكل الأزرق فيها تلك القوة الطاردة للعين الحاسدة، تتكون كف فاطمة أو (الخمسة) من تمثيل مسطح لكف اليد المفتوحة، أصابع ممتدة، عادة ما يشكل الإصبع الأوسط فيها محورا للتماثل والارتكاز، ويبنى هذا الشكل دائما بحيث يكون من المستحيل تحديد ما إذا كانت هذه اليد اليمنى أم اليسرى، وأحيانا ولأسباب مماثلة يشكل لفظ الجلالة الشكل نفسه، لأنه يشبه اليد بحروفه الممتدة وتكرار حرف اللام فيه.

كان هذا الرمز بين المسلمين في العصور الوسطى، ولا سيما المسلمين الشيعة، رمزا للعناية الإلهية، والكرم، والضيافة، والقوة / السلطة، كذلك كان يستخدم مثل تميمة فعالة تطرد الأرواح الشريرة التي تتسبب في الأمراض والمصائب بالإضافة إلى أنه يعمل طاردا للعين الشريرة.

لقد حاول شابل في معجمه عن الرموز الإسلامية [٢] شرح قيمة العدد (خمسة)، بمعادلته مع الأحرف الخمسة لاسم (الله) في اللغة العربية[٣]، بالإضافة إلى مشابهة اليد للفظ الجلالة في الرسم، وهو ما يفسر الطابع الإلهي لليد والرقم خمسة، وهو رمز مشترك في العالم الإسلامي. علاوة على ذلك، فإنه في المعتقد السني، تمثل اليد الواحدة أركان الإسلام الخمسة (الشهادة، الصلاة، والصيام، والزكاة،

---

[١] رئيس قسم اللغة العربية - كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، وأستاذ كرسي الأدب العربي - جامعة نانكاي - الصين

[2] CHEBEL, Dictionnarie des symboles muslims , Malek (1995): p. 256.

[3] José Manuel Pedrasa, Iconografía de la mano Fatima y las llaves, Plato de ceramic Mudejar, siglo XIV. P 3.

والحج)، في حين أن المعتقدات الشيعية تتخذ فيها الخمسة قدسية من عائلة النبي ρ (محمد، علي، فاطمة، الحسن والحسين)[٤].

وفي إشارة أخرى فإن الكف هي التي تحجب العين، وتمنعها من الرؤية وبالتالي تمنع نفوذ العين إلى الشيء الذي سيقع عليه الحسد.

لقد انتشر ذلك الرمز الذي يمثل الكف المبسوطة بأصابعها الخمس مع توسع الممالك الإسلامية من شبه الجزيرة العربية شرقا، إلى الأندلس غربا، ويبدو أن هذه الفكرة قد انتشرت انتشارا واسعا حتى إنها أصبحت رمزا للثقافة الإسلامية، إذ نجد لجنة الأسقفية التي دعاها الإمبراطور تشارلز الخامس في عام ١٥٢٦، للاجتماع للبت في عادات (الموريسكيين) المسلمين الذين اعتنقوا الديانة المسيحية مؤخرا، قد فرضت حظر استخدام كف فاطمة، واستبداله بالصليب"[٥]

لا أعرف من أين جاءت تلك الرواية التي تتحدث عن سيدنا عليτ ويد فاطمة، تلك الرواية التي أصبحت إرثا إنسانيا دون أن نعرف مصدرها على وجه الدقة.

تحكي الرواية أن سيدنا علي دخل على فاطمة الزهراء ومعه محظية جميلة، وكانت السيدة فاطمة في ذلك الوقت تعد الطعام، وعندما رأت المحظية طلب منها سيدنا علي أن تزيد طبقا من أجلها، ولكنها ذهبت في عالم غير عالمنا من الأفكار، وأخذت تقلب القدر بيدها ذاتها حتى احترقت، ورأى ذلك سيدنا علي فطمأنها أنه لا يحب غيرها، ولا يهتم بهذه المحظية، ومن يومها أصبحت يد فاطمة تعويذة ضد كل مكروه قد يصيب الإنسان.

هذه هي الرواية التي يحكيها التراث الأوربي المولع بيد فاطمة[٦]، ولكنني حين بحثت عن أصل تلك الرواية لم أجد شيئا مذكورا سوى ما يتعلق بمسألة

---

[4] Ibed p4.
[5] APOSTOLOS-CAPPADONA, Diane (2005): p. 357.
[6] *Noelia Silva Santa-Cruz- La mano de Fátima - Revista Digital de Iconografía Medieval*, vol. V, nº 10, 2013, p 20.

رغبة سيدنا علي من الزواج بأخرى، ورفض النبي لذلك، واعتذار سيدنا علي لزوجته فاطمة رضي الله عنهما.

هناك رواية أخرى عن (كف فاطمة) يرويها (أ. مايترو) A. Maitrot تعيد قدسية هذه اليد إلى أنه خلال "معركة[٧] بدر (٦٢٤م) التي أسست قوة الدين الإسلامي، لم يكن لدى المسلمين راية أو علم، لذا فقد أوكلوا هذا الأمر إلى ابنة النبي، فاطمة، التي غمست يدها في دم جريح وطبعته على حجابها"[٨]، وبذلك شكلت أول راية في الإسلام، إن هذه الرواية لا تستند إلى أي مصدر تاريخي.

ويبدو أن منشأ كف فاطمة كان مرتبطًا بالأوروبيين، حيث كان الأوربيون في شمال أفريقيا إبان الاستعمار في العصر الحديث، وخاصة مع الجيش الفرنسي الذي اعتاد على تسمية كل النساء الجزائريات والتونسيات باستخفاف باسم "فاطمة"[٩]، وكثيرات منهن كن لا يرفضن هذه التسمية على اعتبار أنها تربطهن بفاطمة الزهراء (٦٠٦-٦٣٢)، ابنة سيدنا محمد، ثم أصبحت اليد التي كن يرتدينها تقترن بأسمائهن، فيقال (يد فاطمة) ثم احتاج الاسم إلى تفسير بعد ذلك، فأضيفت إليه هذه القصص التي تحكي عن يد السيدة فاطمة، وما أصابها في أثناء إعداد الطعام، أو في أثناء معركة بدر.

أما الرواية التي بين أيدينا فهي تمثل كل هذه التناقضات الحادة، والسحر الأسطوري، والقوة الخفية لتلك اليد التي تتشكل لتكون دالة على اسم الله الأعظم. وتكون لها تلك القوة غير المحدودة.

تُعدُّ رواية "كف فاطمة "La mano de Fatima"[١٠] للمحامي والكاتب القطلوني الإسباني إلديفونسو فالكونس Ildefonso Falcones واحدة[١١]

---

[٧] غزوة بدر سنة ٢ هـ

[8] Jean-Loïc, LE QUELLEC, (2010): pp. 259-260.

[9] Noelia SILVA SANTA-CRUZ, LA MANO DE FÁTIMA, *Revista Digital de Iconografía Medieval*, vol. V, nº 10, 2013, pp.19

[10] La mano de Fátima - Ildefonso Falcones, Grijalbo . Barcelona, 2009.

من أنجح الروايات الإسبانية، التي تحاول أن توثق حياة الموريسكيين في إسبانيا منذ ثورة البشرات إلى الطرد النهائي، وقد صدرت الرواية يوم ١٠ يونيو ٢٠٠٩ ولاقت نجاحا سريعا، بحيث بيع في اليوم الأول للإصدار حوالي ٥٠ ألف نسخة. حازت الرواية عام ٢٠١٠ على جائزة روما للأدب الأجنبي، وهي الرواية الثانية للمحامي الإسباني "إلدفونسو فالكونيس" بعد روايته الأولى "كاتدرائية البحر" التي بيع منها أكثر من أربعة ملايين نسخة . وقال فالكونيس لجريدة "البايس"[١٢] الإسبانية : "إن تاريخ حقبة الموريسكيين دائما ما كان يستهويه إلى أن ألحت عليه فكرة الرواية فلجأ إلى مجموعة من الكتب التاريخية، بلغت ٢٠٠ كتاب، كما استعان بعدد من الكتب التي تناولت الدين الإسلامي، فضلا عن مجموعة من الرسائل الجامعية التي تناولت تلك الحقبة التاريخية.

جدير بالذكر أن الموريسكيين الذين تهتم بهم الرواية هم الإسبان المسلمون الذين تم تعميدهم بمقتضى مرسوم الملوك الكاثوليك المؤرخ في ١٤ فبراير/ شباط ١٥٠٢ (٦ شعبان ٩٠٧ هـ)، وكان عددهم كبيرا في أراجون السفلي "مقاطعة تيرول حاليا"، وفي جنوب مملكة بلنسية وفي غرناطة، بينما كانت أعدادهم أقل في بقية مملكة قشتالة، وذلك حسب المعلومات المستقاة من سجلات الضرائب المؤرخة في تلك الفترة، وفي إشارة إلى صياغة عمله الأدبي، أكد "الروائي القانوني" "أن الرواية التاريخية تلتزم بالتفاصيل التاريخية الحقيقية، ومن غير الممكن المساس بتفاصيل الحقبة نفسها، غير أنه في اتجاه مواز يصبح بالإمكان خلق مستوى سردي يمس حياة الأفراد في الحقبة المشار إليها، وذلك من خلال بطل الرواية إرناندو."

ومن غير المنصف أن نفند مقولة إلدفونسو عن روايته من أنها تلتزم الحقبة التاريخية الحقيقية، ولكن هذا سيأتي بعد أن نحلل أحداث الرواية، فنحكم بصدقها التاريخي أو حتى صدقها الفني من عدمه.

---

[11] الموضوع الموريسكي من موضوعات الأدب المهمة ليس في إسبانيا والعالم العربي فحسب، بل في الأدب العالمي ويكفي أن أشير إلى بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، منها:

Emilio Garcia Gomez – Silla del Moro y nueva escena andaluzas – Espasa calpe – Argentina s.a 1954.

Maria Soledad Carrasco Urgoiti – El Moro de Granada en la litratura – revista de occidente – Madrid-1956.

Pedro Martinez Montavez- AL-Andalus Espana en la literatura Arabe contemporanea – MAPFRE – Madrid 1992.

[12] Ildefonso Falcones, El Pais, un 'best seller' a la sombra de la mezquita
Un día de 'marketing' literario en Córdoba junto al autor de 'La catedral del mar'
Córdoba – 10 JUN 2009,

أما الشخصيات الرئيسة في الرواية فهي:

إرناندو: بطل الرواية، سائس حيوانات، موريسكي يسعى لرد الاعتبار لشعبه المطارد.

فاطمة: شابة موريسكية وزوجة إرناندو.

عائشة: والدة إرناندو وزوجة إبراهيم.

إبراهيم: زوج عائشة أم إرناندو، لكنه كان يكره إرناندو بشدة.

حامد: الفقيه العجوز، كان يعده إرناندو بمثابة والده.

فرنثيسكو وأنيس: ابنا إرناندو وفاطمة.

عُبَيد: سائس حيوانات خصم إرناندو.

ابن أمية: زعيم الثورة الموريسكية في البشرات.

تتشكل الرواية مما يقرب من ألف صفحة، وبالضبط ٩٢٤ صفحة، فإذا أضفنا إليها خاتمة الرواية وصلت إلى ٩٥٥ صفحة، وتتكون الرواية من أربعة أجزاء، ومن ٦٩ فصلا.

تدور أحداث الرواية في القرن السادس عشر الميلادي، وتحديدا في عام ١٥٦٨ في جبال ووديان البشرات بمملكة غرناطة القديمة. حيث انتفض المورسكيون في جبال البشرات ضد الظلم والإذلال الذي كان يعاني منه شعبهم، وحملوا السلاح ضد السلطات الإسبانية. دارت حرب رهيبة غير متكافئة انتهت بهزيمة المورسكيين وتشتيتهم في أنحاء إسبانيا.

"كانت المادة الرابعة من معاهدة التسليم التي وقعت قبل أقل من قرن بين الملكين الكاثوليكيين والملك الصغير آخر ملوك الأندلس، تقضي بأن يعيش الموريسكيون

محتفظين بدينهم ولغتهم، وكذلك تنص على أن يحاكموا تبعا لشريعتهم الإسلامية"[١٣]، ولكن ذلك تغير سريعا جدا، وأسرع مما كان يتخيل الموريسكيون.

كانت الثورة حتمية لزيادة الاضطهاد الذي عانى منه الموريسكيون ففي عام ١٥٦٧ أعيد صدور قانون بأن "يمنح الموريسكيون ثلاثة أعوام لتعلم اللغة القشتالية، ثم لا يسمح بعد ذلك لأي أحد أن يتكلم أو يكتب أو يقرأ العربية، أو يتخاطب بها، سواء بصفة عامة أو بصفة خاصة، وكل معاملات أو عقود تجري بالعربية تكون باطلة، ولا يعتد بها لدى القضاء أو غيره، ويجب أن تسلم الكتب العربية من أية مادة في ظرف ثلاثين يوما إلى رئيس المجلس الملكي في غرناطة"[١٤]

كان هذا جزءا بسيطا من ذلك القانون الذي أراد أن يمحو الهوية العربية تماما، وقد أعلن هذا القانون في أول يناير في ذكرى سقوط غرناطة، وقد حاول الموريسكيون التخفيف من عبء هذا القانون ورفعوا الشكاية إلى الأمراء، لكنهم لم يحظوا بأي رأفة أو شفقة سوى في مملكة بلنسية، "وكان زعيمهم وكبير أشرافهم (كوزمي بن عامر) من المقربين للبلاط، فسعى بالتخفيف عنهم، وكللت مساعيه بالنجاح من بعض النواحي، وهو أن يعامل الموريسكيون بالرفق في حالة الاتهام بالردة، ولا تنزع أملاكهم بتهمة المروق، وذلك على أن يدفعوا إتاوة سنوية قدرها ألفان وخمسمائة مثقال لديوان التحقيق"[١٥]

وأما في غرناطة فقد وصل اليأس إلى ذروته فاتفق الموريسكيون على المقاومة والثورة والذود عن أنفسهم، كان لهيب الثورة يزداد يوما بعد يوم بسبب العسف الذي يلقاه الموريسكيون من الجنود، حتى وقع حادث كان نذيرا بالثورة، "ففي شهر ديسمبر سنة ١٥٦٨م وقع حادث كان نذير الانفجار إذ اعتدى الموريسكيون على بعض المأمورين والقضاة في طريقهم إلى غرناطة، ووثب جماعة منهم في الوقت نفسه بشرذمة من الجند، كانت تحمل كمية كبيرة من البنادق، .....، وبدأ الزعماء في اختيار أمير يلتفون حوله ويكون رمز ملكهم القديم، فوقع اختيارهم على فتى من أهل البيازين يدعى

---

[١٣] انظر ترجمة المعاهدة د. محمد عبده حتاملة (التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين) عمان ١٩٨٠ ص ٢١ وما بعدها.

[١٤] تاريخ الإسلام في الأندلس – د. محمد عبد الله عنان – العصر الرابع – مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط الرابعة – ١٩٩٧- ١٤١٧هـ ص ٣٦٠.

[١٥] دولة الإسلام في الأندلس ص ٣٦١.

الدون فرناندو دي كوردبا وفالور، وكان هذا الاسم النصراني القشتالي يحجب نسبة عربية إسلامية رفيعة، ذلك أن فرناندو دي فالور كان ينتمي في الواقع إلى بني أمية"[١٦]

ربما يكون فرناندو هذا هو إرناندو بطل الرواية التي بين أيدينا، بعد أن أضاف إليه الكاتب كثيرا من الملامح الإسبانية التي تهتم بتحسين صورة الإسبان، وتصوير هذه الحرب على أنها حرب متكافئة بين فريقين متساويين في القوة.

وتبدأ الرواية من لحظة تجمع الموريسكيين بدعوة من الكنيسة في يوم الأحد الثاني عشر من ديسمبر سنة ١٥٦٨م، في منطقة خوبليس (جبيل)، من جبال البشرات، في مملكة غرناطة

"رنين الجرس الذي دعا كتلة كبيرة من الناس في العاشرة صباحا إلى كسر صقيع الغلاف الجوي الذي يلف تلك البلدة الصغيرة، التي تقع في أحد سفوح جبال سييرا نيفادا؛ تلاشت أصداؤهم المعدنية أسفل الوادي، وكانوا يتوجهون إلى جبال (كونترابيسا)، سلسلة الجبال التي يحيط بها من الجنوب الوادي الخصب وأنهار غوادالفيو وعدرا وأنداراكس ، كل هذه الأنهار تسقى من روافد لا حصر لها تنحدر من القمم الثلجية.

أبعد قليلا من جبال كونترابيسا، كانت أراضي البشرات تمتد إلى البحر الأبيض المتوسط.

تحت شمس الشتاء الخجول ، تجمع حوالي مائتي رجل وامرأة وطفل – معظمهم كانوا يسحبون أقدامهم سحبا، وكلهم تقريبا صامتون - وقد شقوا طريقهم إلى الكنيسة وتجمعوا عند أبوابها."[١٧]

لقد كان هؤلاء الموريسكيون ممن اعتنقوا المسيحية، وكان عليهم الحضور إلى القداس في كل يوم أحد

"ابتسم القديس ابتسامة خاطفة وكتب شيئًا في الكتاب قبل متابعة العمل، قائمة لا نهائية من المسيحيين الجدد - المسلمين الذين أجبرهم الملك على التعميد وقبول المسيحية – وسوف يتحقق من حضورهم إلى الكنيسة في كل يوم أحد. ومن لا يحضر منهم يسجل غيابه بعناية."[١٨]

---

[١٦] دولة الإسلام في الأندلس ص ٣٦٦.

[17] La mano de Fátima - Ildefonso Falcones, Grijalbo . Barcelona, 2009, p 3.

[18] La mano de Fátima - Ildefonso Falcones, Grijalbo, Barcelona, 2009 p 7.

تدور أحداث هذه الرواية حول حياة إيرناندو رويث، وهو شاب موريسكي يبلغ من العمر ١٤ عامًا ويعيش في جبال خوبيلس (جبيل)، بالقرب من غرناطة، في القرن السادس عشر، مع والدته عائشة وزوج والدته إبراهيم وإخوانه الأربعة. لم يكن إرناندو محبوبًا في مدينته، لأنه جاء عن طريق علاقة غير شرعية اغتصب فيها الكاهن والدته، فكان إرناندو نتاج هذه العلاقة، ولذلك كان يعرف الفتى بين الموريسكيين (بالنصراني)، ويبدو أن الكاتب قد استقى تلك الرواية من حادثة جعلتها كثرة الترديد أشبه بالحقيقة أو المسلمة، إذ يروى أن " أهل قرية قد اشتكوا من أن زوجاتهم تعرضن للاغتصاب من قبل أحد القساوسة، وأن الأطفال ولدوا بوصمة عيني الكاهن الزرقاوين كما هو الحال مع بطل الرواية."[١٩]

وهذه الرواية التي جاءت في رسالة أرسل بها أحد السفراء الإسبان في باريس، يبدو عليها الوضع، وتدخل في إطار الحرب النفسية أكثر من كونها رواية حقيقية، إذ من المستحيل عقلا وفعلا أن يغتصب كاهن نساء قرية كاملة، حتى يأتي الأطفال بوصمة عيني الكاهن الزرقاوين، ومع هذا فقد قبل الكاتب هذه الرواية، ومنها اتخذ بطل الرواية الرئيس، وهو البطل إرناندو، الذي اضطرت أمه خوفا من رفض المحيط المويسكي لها إلى الزواج من رجل مستبد هو إبراهيم، وقد كان إبراهيم يكره إرناندو كرها شديدا.

اهتم الجزء الأول من الرواية بالانتفاضة التي شنها الموريسكيون ضد المسيحيين فيما عرف بالثورة الأندلسية الثانية، أو ثورة جبال البشرات الكبرى. حيث تنتهي هذه الانتفاضة بهزيمة الموريسكيين أمام المسيحيين، مما أدى إلى تعميد الموريسكيين في المسيحية وإلزامهم بالذهاب إلى الكنيسة. كما أنهم ملزمون بدفع الجزية عن أرضهم وحيواناتهم. وقد بدأ الفقيه حامد هذه الانتفاضة حيث وحد الموريسكيين، الذين كانوا يقومون بقتل المسيحيين واستعادة أراضيهم، ولكن إرناندو (بطل الرواية)، لم يكن يحب قتل المسيحيين، ولا يحب أن يرى الموريسكيين يفعلون ذلك، فهو لا يعرف جيدًا ماهية دينه، لأن الموريسكيين كانوا ينظرون إليه باعتباره ابنا لكاهن مسيحي، في حين أن المسيحيين لا يثقون به أيضًا بسبب ثقافته وبيئته ونشأته الموريسكية، خاصة أنه تربى على يد الفقيه حامد الذي كان في منزلة والده الحقيقي.

[19] La mano de Fátima - Ildefonso Falcones, Grijalbo, Barcelona, 2009 p 424.

تستمر المعارك، وفي إحدى انتفاضات البشرات يلتقي بعبيد، الذي لا يثق به ويضع فخًا له. كما يلتقي بابن أميّة، زعيم ثورة المويسكيين في البشرات، أوملك الأندلس –كما كان يلقب- في ذلك الوقت، ويكسب ثقته بفضل عمله سائسا، ودرايته بمعالجة الحيوانات. يبدأ المسيحيون في هزيمة الموريسكيين، ويقومون بمذبحة يخسر فيها إرناندو شقيقتيه، لكنه ينقذ دون قصد فاطمة، وهي امرأة موريسكية شابة وأم لطفل، وقد فقدت زوجها. يتحاب فاطمة وإرناندو. وفي معارك لاحقة، ينقذ إرناندو مسيحيين اثنين، هما فتاة كانت أسيرة تدعى إيزابيل، ونبيلا قشتاليا يدعى دون ألفونسو.

في الجزء الثاني من الرواية، وبالتحديد في الفصل الثالث والعشرين، يصور الكاتب أن الأتراك كانوا يعاونون الموريسكيين في حربهم ضد المسيحيين في شبه الجزيرة الإيبيرية، ويصور الأتراك على أنهم يرسلون المساعدات إلى تونس والجزائر من أجل هذه الحرب، ما يضطر الموريسكيين إلى الذهاب للعيش في قرطبة بأمر من فليب الثاني، المدينة التي يقع فيها المسجد القديم لملوك الأندلس.

أو كما تقول الرواية "في نوفمبر ١٥٧٠، أمر فيليبي الثاني بطرد جميع المغاربة من المملكة الداخلية لغرناطة، بما في ذلك إرناندو وإبراهيم، وعائلتهما، عُهد بهم إلى دون فرانسيسكو دي زاباتا دي سيسنيروس، لورد باراخاس وعمدة قرطبة، كان عليه أن يأخذهم إلى قرطبة، ثم يوزعهم عبر أراضي قشتالة وغاليسيا.

كان سهل غرناطة يتألف من عدد كبير من بيوت المزارعين، إلى الغرب من المدينة. كانت منطقة مسطحة وخصبة، وذلك لوجود نظام توزيع منظم ومعقد من المياه من خلال المصارف التي بنيت في العصر الروماني، والتي تم تطويرها فيما بعد أن أتقنها المسلمون.

بعد استسلام غرناطة للملوك الكاثوليك ، وزعت الأراضي التي كان يملكها الموريسكيين في هيئة بساتين وأصبحت من ممتلكات النبلاء المسيحيين والطوائف الدينية، لمدة سبعة أشهر، عاش الآلاف من المغاربة[٢٠] مشردين."[٢١]

[٢٠] يسميهم الكاتب مغاربة، وفي التسمية (مورو) ما يشير إلى ذلك.

[21] La mano de Fatima p 116.

إن التاريخ يذكر لنا تلك المأساة التي عانى منها الموريسكيون، في عام ١٥٧٠ "أصدر فليب الثاني قرارا بنفي الموريسكيين إلى داخل البلاد، ومصادرة أملاكهم العقارية، وترك أملاكهم المنقولة يتصرفون فيها، ويقضي هذا القرار بأن الموريسكيين في غرناطة والفحص، ووادي لكرين الإقليم، وجبال بونتوفير حتى مالقة، وجبال رندة ومربلة، يؤخذون إلى ولاية قرطبة، ومن هنالك يفرقون في أراضي إسترامادورة وجليقية"[٢٢]

لقد كان الرأي أن يعامل هؤلاء الثوار بأقصى درجة من الشدة " ومن ثم العمل على ترحيل الأندلسيين من أماكن تجمعاتهم في الجنوب الأندلسي، لأن وجودهم بتلك الكثافة سيكون مصدر خطر على السلطة، وقد برهنت الثورة الأندلسية الأولى على استمرار خطر الأندلسيين، واستعدادهم للثورة حين يشتد الضغط عليهم"[٢٣]

كانت فاطمة قد تزوجت من إبراهيم على الطريقة الإسلامية، لكن عند الوصول إلى قرطبة، لم يكن بمقدور إبراهيم إعلان الزواج من اثنتين تبعا للعقيدة المسيحية، لذا طلب من إرناندو أن يتزوج فاطمة في الكنيسة، كي تكون فاطمة قادرة على البقاء مع الأسرة.

أو كما تقول الرواية " تزوج إرناندو وفاطمة زواجا مسيحيا في كنيسة بادول. في اليوم السابق للحفل، كانا كلاهما داخل الكنيسة، لفحص العقيدة المسيحية من قبل نفس الكهنة الذين قاموا بمضايقتهم بمجرد وصولهم إلى المدينة، مع وجود ساكريستان أندريس، نجح إرناندو في الامتحان دون صعوبة.

والآن أنت – قال أحد الكهنة لفاطمة – صلي الصلاة الربانية.

الفتاة لم ترد. بعد لحظات قليلة، أظهر الكاهنان، والقسيسان نفاد الصبر.

"ألا تعرفين الصلاة الربانية؟" سأل أندريس وهو يضيق عينيه.

قام إرناندو بدفعها برفق باستخدام ساعده واستجابت الفتاة. تلا بصوت مرتعش الصلاة الربانية، وكذلك السلام عليك يا مريم، لكنه لم يستطع أن يصيب قانون الإيمان والوصايا، أمره أحد الكهنة بالذهاب إلى رعيته كل يوم جمعة لمدة ثلاث سنوات حتى يتعلم التعاليم المسيحية بشكل صحيح "[٢٤]

---

[٢٢] دولة الإسلام في الأندلس ص ٣٧٥.

[٢٣] عادل سعيد بشتاوي – الأندلسيون المواركة د.ط، د.ت ص ١٥٤.

[24] La mano de Fatima p 117.

واستقرت الأسرة في منزل متواضع يتقاسمه كثير من العائلات المغاربية، باستثناء طفلي عائشة الصغيرين اللذين اختُطفا من حضن أمهما، وطفل فاطمة الذي مات في الطرق إلى قرطبة.

يجد إرناندو عملاً في المدابغ ويحصل على أجر زهيد. تطلق فاطمة من إبراهيم، ويتزوج إرناندو من فاطمة على الطريقة الإسلامية، كما يحصل إرناندو على وظيفة في الاسطبلات الملكية ويحصل على راتب أفضل.

ينتقلون إلى منزل جديد بصحبة عائشة. وفي ذلك الوقت يساعد إرناندو في ترجمة الكتب مع دون خوليان، وهو كاهن مسيحي يؤمن فعليًا بالعقيدة الإسلامية، وشخص آخر يدعى كريم، أنجبت فاطمة طفلين آخرين تلقيا تعليمهما الإسلامي على يد حامد، يضبط كريم وبحوذته نسخ القرآن التي يترجمونها، ويعذب حتى الموت، يكتشف حامد من خانه ويذهب للبحث عنه لقتله.

في الجزء الثالث من الرواية، يلتقي إرناندو بدون ألفونسو، النبيل الذي أنقذه في انتفاضة البشرات، والذي يعيش في قصر فاخر ويأخذه للعيش معه. يشارك إرناندو في القراءة، في مكتبة القصر، وهناك يفكر في حلول لمواصلة الشعب الموريسكي العيش في أرضه ويتمكن من الإبقاءعلى دينه. إن المغاربة الآخرين مقتنعون بقدرتهم على خوض الحرب، لكن إرناندو لا يؤمن بإمكانيات شعبه في الحرب، ويبحث عن طريقة تؤلف بين المتحاربين جميعا.

في وقت لاحق، أرسله دون ألفونسو إلى غرناطة مع دون سانشو، لأن أحد قضاة غرناطة كان مهتمًا بلقائه، كان هذا القاضي هو زوج إيزابيل، الفتاة التي أنقذها إرناندو منذ فترة طويلة. عند وصوله إلى غرناطة ورؤية المرأة التي كانت تلك الفتاة، وقع في حبها، وفي وقت لاحق ذهبا معا إلى الفراش، فقد كانت إيزابيل غير مخلصة لزوجها. في الوقت نفسه اتصل به عمدة غرناطة لإعطائه بيانا بأسماء الأشخاص والأحداث والمجازر التي ارتكبها الموريسكيون في حروب البشرات، يحاول إرناندو القيام بذلك على طريقته، فهو لا يريد أن يخون إخوانه في الإيمان. فهو يعرف غرناطة التي يحكمها المسيحيون، والتي تتظاهر بالمسيحية، لكنها تخفي العقيدة الإسلامية، يعرف

هؤلاء ومن بينهم إرناندو نفسه، أولئك الذين يقاتلون من أجل تحقيق التعايش بين الديانتين، في محاولة لإيجاد نقاط مشتركة بينهما.

إن علاقات الحب بين إيزابيل وإرناندو تثير كراهية ذلك القاضي، الذي على الرغم من الأذى النفسي الذي يلحق به والمرض، يتصرف بهدوء، ولكن سرعان ما يغادر إرناندو ودون سانشو مرة أخرى إلى قرطبة، بمجرد وصوله يستقبله الموريسكيون بكراهية وحتى والدته كانت تدرك أن ما قام به إرناندو " يساعد" المسيحيين على إيقاع الأذى بإخوانه، لذا فقد كانوا يعتقدون بأنه خان دينه.

يواصل إرناندو العمل على التوفيق بين الديانتين، ويستنتج أن للدينين نقطة اتحاد مشتركة في مريم العذراء. ويحاول تفسير الأناجيل وترجمة النصوص بالطريقة التي تظهر بالفعل أوجه التشابه بين الديانتين، وقد شهدت إسبانيا في ذلك الوقت حماسة وتعصبا دينيا شديدا.

في الجزء الرابع والأخير من الرواية، نجد أن السنوات قد مرت ويتعرف إرناندو على ميكيل، وهو شاب مشلول يساعده في مهام منزله الجديد، لأنه عند وفاة دون ألفونسو طردته الدوقة من القصر. يتعرف ميكيل على رفاييلا، وهي شابة أخرى تشعر بعدم السعادة لأنها تشكل عبئًا على عائلتها، لذلك طلبت من إرناندو الزواج منها. يوافق إرناندو، ومع مرور الوقت شيئًا فشيئًا يجد زوجة وأمًا صالحة في رافاييلا، وبعد سنوات يصبح لديه خمسة أطفال منها. يواصل إرناندو مهامه في القراءة والبحث في الأديان، لكنه وشركاؤه لا يستطيعون بالفكر تحقيق النتائج التي كانوا يسعون إليها.

بعد سنوات، أمر الملك فيليب الثالث بطرد جميع المويسكيين من إسبانيا إلى المغرب. إرناندو يغادر إلى إشبيلية ذات يوم مع طفليه الكبيرين للصعود إلى مركب ومغادرة إسبانيا، ما لم يكن يعرفه هو أن فاطمة كانت تنتظره هناك، وكانت تعلم بكل ما حدث له في هذه السنوات. كان إرناندو وفاطمة في الميناء، لكن رافاييلا تصل خلفه، لأنها دون علم إرناندو سارت خلفه في الطريق. عندها تعرف رافاييلا التاريخ الكامل لماضي

زوجها وتناشده ألا يتخلى عنها، ويعرف إرناندو على الرغم من أنه لا يزال يحب فاطمة، أن حياته يجب أن تكون مع زوجته وأطفاله.

قبل أن تغادر فاطمة، قدم لها إرناندو الكتب التي كان يعمل عليها حتى تتمكن من إنهاء هذا العمل.

وأخيرًا، تستقر الأسرة في منزل في غرناطة باعتبارها أسرة مسيحية.

وبعد سنوات تصل إليه رسالة تعيد إليه منزله في قرطبة وجميع ممتلكاته، وتصل إليه رسالة أخرى يشكره فيها السلطان على كل العمل الذي قام به من أجل دينه، وتتمنى له فاطمة الأفضل وتغفر له كل شيء.

تحاول الرواية تصوير المسيحيين على أنهم ضحية وأنهم وضعوا في ظرف حتم عليهم الحرب، فالرواية لا تسمي المسلمين إلا بالمورو، ولا تتكلم عن المسيحيين إلا بألوان الرحمة والرأفة فمن ذلك:

" لقد فهم سيدي الملك أن معظم الموريسكيين في مملكة غرناطة الذين تمردوا لم يتحركوا بإرادتهم، بل اضطروا وحثوا وخدعوا من قادة الثورة، الذين خدعوهم من أجل أغراضهم الخاصة، وليس لجني أي منفعة لهم، حيث قاموا بحثهم على النهوض؛ وبعد أن أمر بجمع عدد من أهل الحرب لمعاقبتهم، لأنهم قاموا بهذا الذنب وهذه الجريمة، وطردهم من الأماكن التي كانت لديهم في نهر المنصورة وجبال سييرا دي فيلابريس وفي جبال البشرات، مع موت وسبي كثيرين منهم، ومطاردتهم في الجبال حيث يعيشون مثل الوحوش البرية في الكهوف والغابات ..... لا يريدون التمتع بالنعمة والرحمة التي يأمرهم جلالة الملك أن يتمتعوا بها.

نعم، لجميع أولئك الذين تقل أعمارهم عن خمسة عشر عامًا أو تزيد على خمسين عامًا والذين قاموا بالاستسلام من تلقاء أنفسهم وجلبوا ما لديهم من أسلحة مثل البنادق والأقواس وغيرها، هؤلاء نعفو عنهم، ولا يمكن عدهم عبيدًا ، وبخلاف ذلك أيضا يمكن أن نعفو عن أشخاص لأنهم يمثلون عائلة مثل أب أو أم أو أطفال أو زوجة أو إخوة؛ هؤلاء لن يكونوا عبيدا أيضا، لكن سيبقون في حريتهم الأولى وسيظلون، مع تحذير أولئك الذين لا يريدون الاستمتاع بهذه النعمة والرحمة، لن يتم قبول أي رجل يبلغ

من العمر أربعة عشر عامًا فما فوق في أي عفو؛ بل سيعاقبون بالموت بدون شفقة ولا رحمة"[٢٥]

فالإسبان يقتلون المسلمين لأنهم قاموا بالثورة ضدهم في جبال البشرات، لا لأن الإسبان طردوهم من بيوتهم ومن أرضهم إلى الجبال التي عاشوا فيها مشردين كالوحوش في البرية.

ويصور الكاتب مأساة الموريسكيين معادلا بينها وبين ما كان يحدث للإسبان آنذاك إذ يقول "كان كلا الجانبين يمر بلحظات حرجة: في أراضي البشرات، كانت الأسعار قد تضاعفت؛ فكيلة الحنطة والشعير سعرها أصبح أكثر من عشرة، والجنود والعائلات كانت تتضور جوعا. لم يستطع ابن أبيه أن يفعل شيئًا لعلاج هذا الوضع، لذا بعد تبادل الرسائل مع ألونسو دي غرناطة فينيغاس، رجل ذو دلالة بين المغاربة، قام رسميًا بعقد مفاوضات الاستسلام، لكن هذه المفاوضات كان لها تأثير مخالف لمصالح المغاربة، إذ إنه في ذلك الوقت، بدأت ثلاث سفن من الجزائر محملة بالطعام والأسلحة والذخيرة في إنزال المؤن على شواطئ داليا، ولكن عندما علم ركابها أن ابن أبيه كان يتفاوض مع ألونسو، أعادوا المؤن مرة أخرى وعادوا إلى الجزائر العاصمة. حدث الشيء نفسه مع سبع سفن وصلت إلى الشواطئ تحت قيادة حسين ابن مدينة كاراكاكس الذي جاء ومعه أربعمائة من الإنكشارية والعديد من الأسلحة وكان يريد أن يقوم بأعمال القرصنة لكنه علم أيضا بمفاوضات السلام.

وعلى الجانب الآخر كان وضع المسيحيين أكثر تعقيدًا بكثير، فمن ناحية كانت المواجهات المتقطعة إلى حد ما في مناطق أخرى من البشرات، واستراتيجية حرب العصابات التي تبناها ابن أبيه جعلت من المستحيل عمليا القيام بانتصار حاسم نهائي. ومن ناحية أخرى، كان للتمرد بالفعل عواقب في المدن المجاورة، إشبيلية مثلا كان فيها عشرة آلاف من التابعين للموريسكيين"[٢٦]

[25] La Mano de Fatima p 105.
[26] La Mano de Fatima p 105.

كان على المسلمين أن يغيروا كل شيء، لكن الآخر لم يقبل بكل هذا، ففي النهاية كما تصف الرواية، وبعد مرور عامين على سنة ١٦١٢م، أي في عام ١٦١٤م كان على إرناندو أن يقرر ما يريد، أن يبقى في هذه الأرض مستغلا صفاته التي لا تختلف عن أي مسيحي أندلسي، أو أن يرحل باعتباره موريسكيا في نظر هؤلاء.

"لقد أدرك المسيحيون أن سياستهم لا تؤدي بهم إلى نتيجة، وأن الموريسكيين (وقد تحصنوا بمبدأ التقية كما نعرفه الآن) كانوا صامدين بوجه مساعي المبشرين، فراحوا يجادلون كثيرا لأجل إيجاد حل لهذه المشكلة المستعصية، وبدا لهم طريقان واسعان، الأول مضاعفة الجهود التبشيرية والتعليمية للوصول إلى تنصير كامل، والآخر هو الاقتناع بأن أي تنصير لا يمكن أن يتم بسبب الضلال المطلق لهؤلاء الناس"[٢٧]

لم يختلف شيء عن السابق، الآراء التي كانت تقترح في أثناء هذه الحقب المظلمة، هي الآراء التي مازالت تطرح اليوم، يقول أحد الباحثين "من الصعب على باحث في القرن العشرين ينظر في هذه الأحداث فيدرك أن مصير أطفال يحتمل إبعادهم يمثل مشكلة خلقية لعدد من المسيحيين قد لا يمانعون في قبول اقتراح بطرد عشوائي لجميع البالغين، وكانت المخاوف التي تراود معارضي الطرد تصدر عن الإدراك بأنه لو أرسل جميع الموريسكيين للعيش في بلاد إسلامية، إذن لأخذوا معهم عددا من الأطفال والصغار الذين لا يمكن أن يحاسبوا على ما يصدر منهم، وهؤلاء الأطفال الذين يمكن إنقاذهم ليصبحوا مسيحيين في إسبانيا"[٢٨]

وإني لأعجب من باحث كان يعيش في القرن العشرين لا يجد غضاضة من أن يكون الطرد للبالغين فقط فينتزع الأطفال من أحضان آبائهم وأمهاتهم، من أجل "إنقاذهم ليصبحوا مسيحيين في إسبانيا" على حد تعبيره.

" لقد مر ما يقرب من عامين منذ تلك المحادثة، لم يكن لديه مشكلة في الاستقرار في مزرعة منعزلة في سيادة غرناطة فينيغاس، تحت حماية دون بيدرو، كخدمه السابقين. طريقة حياته تغيرت. لم تعد لدى إرناندو كتب يلجأ إليها، ولا حتى

[٢٧] ليونارد باتريك هارفي – تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي – ترجمة عبد الواحد لؤلؤة – الحضارة العربية في الأندلس ج الأول، مركز دراسات الوحدة العربية – لبنان ط ٢ ١٩٩٩ ص ٣٤٥

[٢٨] ليونارد باتريك هارفي – تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي – ترجمة عبد الواحد لؤلؤة – الحضارة العربية في الأندلس ج الأول، مركز دراسات الوحدة العربية – لبنان ط ٢ ١٩٩٩ ص ٣٤٦.

الورق أو حبر الكتابة، ولا خيول. ليس سوى القليل من المال الذي لديهم لا يمكنهم من النظر لمثل هذا الثانويات، ولكنه لو كان يملك هذه الأمور، لما كان قادرًا على تكريس نفسه لفن الخط أيضًا؛ كان التعايش بين العائلات التي سكنت ذلك المكان المفقود في الحقول حميميًا، كان الجيران دائما يشكون في بعضهم، ولا يأمنون لبعضهم، أبواب البيوت كانت مفتوحة بشكل دائم، والنساء كن يصلين ويسبحن في همهمة مستمرة أصبحت سمة دائمة للمكان في بعض المناسبات، وفي الحقول كان يمكن أن يستخدموا الأغصان في كتابة بعض الحروف العربية على أن رافاييلا أو أطفالها كانوا يمحونها بسرعة بأقدامهم. كان (لاثارو)، البالغ من العمر سبع سنوات، وقد ثبت عينيه الزرقاوين على تلك الرسومات، وكأنه يحاول الاحتفاظ بها، كان الوحيد من بين أبناء إرناندو الذي واصل تعلم العقيدة"[٢٩]

وكانت النهاية أن يبقى إرناندو في الأرض مع أسرته في حين تترك فاطمة هذه الأرض إلى الأبد بعد أن سامحته وغفرت له

" نظر إرناندو إلى عائلته بحب واعتزاز، ثم قلب النظر إلى أعلى من فوق أوراق الزيتون. كانت الشمس عالية، وللحظة، فوق السماء الصافية، رسمت له الغيوم يد فاطمة البيضاء الضخمة التي بدا أنها تحميهم جميعًا."[٣٠]

لم تعد كف فاطمة تمثل أركان الإسلام الخمسة من شهادة وصلوات (خمس)، وصوم، وزكاة، وحج، ولا عادت تمثل فاطمة التي أحبها إرناندو، وعاشت مثله بديانتين وقلبين، وإنما كف فاطمة هي الماضي كله، والحاضر الذي سيتحول إلى تميمة للمستقبل.

في الواقع لم يكن الأمر بهذه البساطة التي يفترضها الكاتب، فالكاتب نفسه قد أشار في خاتمة الرواية إلى المآسي التي تعرض لها الموريسكيون في أثناء الطرد ومنها ما وصفه بأنه :

" مأساة شعب تستحق دراسة وافية. لهذا، فالمراجع وفيرة:

أولاً: هناك العبودية التي تعرض لها من هم دون سن الحادية عشرة، وقد عد كل من تجاوز هذا العمر بالغا.

---

[29] La Mano de Fatima p 420.
[30] La Mano de Fatima p 424

وثانيًا: بمجرد انتهاء الحرب، سلم أطفال الموريسكيين المرحلين إلى عائلات مسيحية، هناك مستندات تثبت إجراء بعض الإجراءات القضائية بناء على طلب هؤلاء الأطفال أنفسهم بمجرد بلوغهم السن اللازمة لاستعادة حريتهم.

ثالثا: بدلا من ذلك، كان هناك استعباد جديد للأطفال بعد تمرد جبال فالنسيا

وأخيرًا، هناك وثائق عن الأطفال دون سن السادسة الذين كانوا محتجزين في إسبانيا عندما تم الطرد النهائي.

بعد الطرد الأول، كانت هناك سلسلة من المراسيم التي صدرت من أجل إبعاد الذين كان بإمكانهم البقاء في إسبانيا، أو من بإمكانهم العودة إلى إسبانيا، وكان يسمح لمن وجدهم بأن يقتلهم أو يستعبدهم حسب رغبته، وتجدر الإشارة، من ناحية أخرى ، إلى أن مراسيم الطرد كانت قد اختلفت من مملكة إلى أخرى من الممالك الإسبانية، رغم الإبقاء على المراسم الأساسية"[٣١]

إن معاهدة الصلح التي استسلمت فيها غرناطة لحكم فرناندو وإيسابيل وأصبحت بموجبها غرناطة مسيحية خالصة يسميها ألدفونسو شروطا كريمة وطيبة، ناهيك عن أنه يسمي المسلمين دائما بالموريسكيين (المغاربة)، وكأنه يجعلهم من البداية ينتمون إلى المغرب مع أن هذا الانتماء إلى المغرب لم يكن موجودا عند مسلمي غرناطة، بل كانوا ينتمون إلى أرضهم بالرغم من أنهم قد أصبحوا مسلمين.

"تاريخ المجتمع الموريسكي، منذ استيلاء الملوك الكاثوليك على غرناطة حتى وقت الطرد النهائي، الذي احتفل بالذكرى المئوية الرابعة له في عام ٢٠٠٩، هو طرد واحد من العديد من حلقات كراهية الأجانب التي أنتجها تاريخ إسبانيا، إنها تستحق الدراسة أيضًا مثل اعتداءات المنصور على اليهود والمسيحيين، وبطرد اليهود الإسبان من قبل الملوك الكاثوليك. إن معاهدة استسلام غرناطة تعد كريمة جدًا للمسلمين الذين يمكنهم الاحتفاظ بلغتهم ودينهم، عاداتهم، وتقاليدهم، وقوانينهم؛ لكن بعد ثماني سنوات، فرض الكاردينال سيسنيروس التنصير القسري على الموريسكيين، وكذلك القضاء على ثقافتهم، وفرض الضرائب الجديدة والمرهقة وقمع استقلاليتهم الإدارية.

أصبح المسيحيون الجدد مستغلين ومكروهين في الوقت نفسه، وقيدت حقوقهم بشكل كبير.

---

[31] La Mano de Fatima p 426.

كانت انتفاضة البشرات المغاربية، نتيجة التدهور الذي لا رجعة فيه لأوضاع هذا الشعب، وهو تاريخ معروف من خلال روايات مفصلة جاءت في كتابين للمؤرخين لويس دي مارمول كارفاخال، وكتابه *(تاريخ التمرد ومعاقبة مغاربة مملكة غرناطة)*، وديجو هورتادو دي ميندوزا، وكتابه *(حرب غرناطة التي صنعها الملك دون فيليب الثاني ضد مغاربة تلك المملكة، وثوراتهم)* وهو *(كتاب تاريخي في أربعة مجلدات)*. لقد كانت حربًا شنها الطرفان بقسوة شديدة، على الرغم من أنها اشتهرت باعتداءات المغاربة بسبب تحيز المؤرخين المسيحيين، وعلى الرغم من ذلك، كان أحد الأصوات القليلة التي تم رفعها للتوضيح، وليس للتبرير، صوت السفير الإسباني في باريس إذ ذكر ذلك في الرسالة الموجهة إلى الملك في الصفحة ٢٠، اشتكت بلدة بأكملها من أن زوجاتهم تعرضن للاغتصاب من قبل القس وأن الأطفال ولدوا بوصمة عيني الكاهن الزرقاوين كما هو الحال مع بطل الرواية. "[٣٢]

لم يكن الصراع صراعا عقديا فقط، بل كان صراعا اقتصاديا أيضا، حيث نجد أن فالينسيا قد تعرض مجلس البلدية فيها للانهيار في عام ١٦١٣م بسبب تزوير العملة، وقد اتهم المسيحيون الموريسكيين في هذا البلاء، واضطر مجلس البلدية إلى سحب مئات الآلاف من الدوكات المزورة، وظن الإسبان أن الأمازيغ الذين جاءوا من الجزائر هم الذين ساعدوا الإسبان في ذلك، ولكن الذي حدث أن المسيحيين أنفسهم هم الذين ساعدوا المسلمين في هذه الأزمة الاقتصادية.[٣٣]

وهناك بعض الكتاب الذين يحاولون تغيير طبيعة الصراع من صراع ديني إلى صراع عرقي، ولذلك يقول خوليو كارو باروخا "لقد مات ابن أمية وقد أظهر بوضوح أنه مسيحي، وأنه لم يكن يفعل ذلك إلا انتقاما لعائلته، مما يجعلنا نجزم بأن ما كان يحرك الموريسكيين في نهاية الأمر لم يكن (الدين)، بل الشعور بالتضامن الاجتماعي أو (العصبية) التي تحدث عنها ابن خلدون"[٣٤]

---

[32] La mano de Fátima - Ildefonso Falcones, Grijalbo, Barcelona, 2009 p424.
[33] La Mano de Fatima p 424
[34] Julio Caro Baroja – Los Moriscos del reino de Granada – ISTMO-Madrid – 1991- p 198.

ولكننا إذا افترضنا أن ما يحرك المسلمين الأندلسيين كان العصبية، فإننا لا نستطيع أن نعكس الأمر بحيث نقول إن ما كان يحرك المسيحيين الأندلسيين كان العصبية أيضا.

ومهما حاول الكاتب استبعاد الطرق الوحشية التي اصطنعها الإسبان مع المسلمين في الأندلس، ومهما حاول أن يسميهم بالموريسكيين، وهي التسمية التي تجعلهم جزءا من تراث الآخر الذي ينتمي إلى المغرب أو موريتانيا، ومهما حاول أن يذكرنا بما قام به المنصور ابن أبي عامر في غزواته، فإنه لن يستطيع أن يمحو يد العار التي لوثت تاريخ أوربا كلها بما حدث في إسبانيا بمباركة الدول الأوربية الأخرى ومساعداتها، ولن يمحو الجرائم الشنعاء التي ارتكبت ضد المسلمين.